

**Marginal Literature in Yemen:
The Marginalized Character in Ali al-Muqri's
Novel Black Taste... Black Smell: A Case Study**

By Rashwan Dahiam Saif Ghaleb

Teaching Assistant, Department of Arabic Language- Faculty of Education, Applied Sciences and Technology, Bajil- University of Hodeidah, and PhD Researcher in Modern Arabic Literature, Faculty of Arts, Humanities and Social Sciences, University of Manouba, Tunis

duheemr@gmail.com

أدب الهامش في اليمن:

الشخصية المهمشة في رواية "طعم أسود... رائحة سوداء" لعلي

المقري أمودجا

رشوان دحييم سيف غالب

معيد في قسم اللغة العربية كلية التربية والعلوم التطبيقية والتقنية بباجل - جامعة الحديدة،
وباحث دكتوراه في الأدب العربي الحديث في كلية الآداب والفنون والإنسانيات - جامعة
منوبة - تونس

duheemr@gmail.com

Received: 20 -08- 2026

Accepted: 25- 08- 2026

تاريخ القبول: 25- 08- 2026

تاريخ الاستلام: 20- 08- 2026

DOI: <https://doi.org/10.48185/sjhss.v2i7.2204>

ISSN (online): 3080-1648

الملخص:

تسعى دراسة "أدب الهامش في اليمن: الشخصية المهمشة: في رواية "طعم أسود... رائحة سوداء" لعلي المقري أمودجا" إلى الكشف عن الكيفية التي تمثلت بها الرواية "الشخصية المهمشة" أي كيف تجلّت الشخصية المهمشة في الرواية؟ وقد توسلت الدراسة بالمقاربة الموضوعانية. وجاءت في مقدمة وخاتمة، إذ احتوت المقدمة على تأطير موضوع الدراسة وتنزيله في سياقه العام، وبيان دواعي الاختيار، وحدود الدراسة وأهميتها، وذكر فرضياتها وإشكالياتها ومقاربتها، ورصد الدراسات السابقة والتعليق عليها وبيان موقع الدراسة الحالية منها، ثم خُطت الدراسة. ونظر المبحث الأول: "في الإطار المفاهيمي"، أما المبحث الثاني فدرس "الشخصية بين التهميش ومحاولات إثبات الهوية"، وتناول المبحث الثالث: "خطاب العنصرية: بين الطبقة الاجتماعية وتمثيلات الشخصية المهمشة"، وخصص المبحث الرابع لـ: "الشخصية المهمشة تحكي ذاتها. أما المبحث الخامس فمداره على "موقف الكاتب من المهمشين: من خطاب الاعتراف إلى المشاشة والتشظي". وقد توصلت إلى نتائج عدة، لعل من أهمها: أن تمرّد المهمشين على بعض العادات والتقاليد لم يكن سببا في تهميشهم، وإنما التهميش كان سبب تمرّدهم، وأن التهميش مرّد إلى التحيز، والتمييز العنصري القائم على العرق واللون، وأن الشخصية المهمشة تجلّت في مواطن من النص شجاعة ومتقنة ورافضة للتهميش والإقصاء، وفي أخرى متشظية، هشّة، ناقصة، متسولة، مهزومة ومتأزّمة، بلا هوية، ضائعة، وكل ذلك يعود إلى تجذّر سلطة لإقصاء والتهميش وعمقها الاجتماعي، مما جعل الاعتراف بالطبقة الهامشية ودمجها اجتماعيا محفوفًا بالخطر، ومن ثم بالفشل.

الكلمات المفتاحية: أدب الهامش - الشخصية المهمشة - التهميش - التمييز العنصري - اليمن - علي المقري.

Abstract

This study, entitled Marginal Literature in Yemen: The Marginalized Character in Ali al-Muqri's Novel Black Taste... Black Odour as a Model, seeks to explore how the novel represents the marginalized character by addressing the following central question: How is the marginalized character portrayed in the novel? The study adopts a thematic approach and is structured into an introduction, five main sections, and a conclusion. The introduction contextualizes the research topic, explains the rationale for its selection, outlines the scope and significance of the study, presents its hypotheses, research problems, and methodological approach, reviews and discusses previous scholarship, identifies the contribution of the

للاقتباس: غالب، رشوان دحييم سيف. (2026). أدب الهامش في اليمن: الشخصية المهمشة في رواية "طعم أسود... رائحة سوداء" لعلي المقري أمودجا، مجلة سبأ للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مج2، ع(7): 138- 159

Cite this article as: Ghaleb, Rashwan Dahiam Saif. (2026). Marginal Literature in Yemen: The Marginalized Character in Ali al-Muqri's Novel Black Taste... Black Smell: A Case Study. Saba Journal of Humanities and Social Sciences, Volume 2, Issue (7), Pages: 138 - 159

present study, and concludes with the study's overall structure. The first section establishes the conceptual framework. The second examines the character between marginalization and the struggle for self-assertion and identity. The third investigates the discourse of racism in relation to social stratification and the representations of the marginalized character. The fourth is devoted to the marginalized character's self-narration, while the fifth analyzes the author's stance toward the marginalized character, tracing it from the discourse of recognition to fragility and fragmentation.

The study arrives at several findings, the most significant of which are as follows: the marginalized group's rebellion against certain customs and traditions was not the cause of their marginalization; rather, marginalization itself gave rise to their rebellion. Furthermore, marginalization is rooted in prejudice and racial discrimination based on ethnicity and skin colour. The marginalized character is portrayed in some parts of the novel as courageous, educated, and resistant to marginalization and exclusion, while in others as fragmented, vulnerable, deficient, destitute, defeated, alienated, lacking a clear identity, and lost. These contrasting representations reflect the deep-rooted social structures of exclusion and marginalization, rendering any attempt to recognize and socially integrate marginalized groups fraught with challenges and, ultimately, liable to failure.

Keywords: Marginal Literature; Marginalized Character; Marginalization; Racial Discrimination; Yemen; Ali al-Muqri.

المقدمة:

تتعمق هذه الدراسة - أساساً - بالشخصية المهمشة في رواية "طعم أسود... رائحة سوداء" للروائي علي المقرري. وقد اتخذت من اليمن إطاراً مكانياً وموضوعاً لها، كما أبان بذلك الجزء الأول من العنوان الذي وسماه بـ "أدب الهامش في اليمن". وعلى الرغم من اتساعه وعمومه، فقد قد قصدها قصداً، ومرد ذلك إلى أمرين: أولهما هو تأطير الدراسة وتنزلها في السياق اليمني. وثانيهما هو إبراز أهمية دراسة الهامش، وأنه لا يقتصر على الطبقة الاجتماعية وحسب، وإنما يتجاوز ذلك إلى الطبقة الثقافية والأدبية، وأن الكاتب الذي يتناول تلك الموضوعات قد يلحقه التهميش بوصفه خارجاً عن أعراف وتقاليد المؤسسة الرسمية الثقافية. ولذلك، فإن هذه الدراسة تطرح أسئلة عديدة، منها: ما هو إبستمولوجي (معرفي)، ومنها ما هو فلسفي (وجودي)، وكل ذلك يتصل بالذات المهمشة وبهويتها الضائعة، وأسباب التهميش، وبمقاصد الكاتب ومقتضيات الكتابة.

1 - دواعي اختيار الدراسة:

- دواعي ذاتية: وتتمثل باهتمامنا بدراسة الأدب اليمني.

- دواعي موضوعية: وهي كثيرة، ولعل من أهمها: أن أدب الهامش في اليمن لم يحظ بالدراسة إلا نادراً، وأن بعض الدراسات التي تناولت موضوع (المركز والهامش) اقتصرت على الفضاء واللغة والحوار. وتراهن دراستنا على النظر في الهامش وحسب، وخاصة في تمثيلات الراوية "للشخصية المهمشة". وترجع أسباب اختيارنا للروائي علي المقرري إلى أنه من ضمن الكتاب الذين كتبوا عن أدب الهامش، واعتنى بصوت الأقليات، والطبقات الاجتماعية، وكذلك قضايا التمييز العنصري، وخاصة في روايتي "اليهودي الحالي" و"طعم أسود... رائحة سوداء". وأما دوافع اختيارنا لرواية "طعم أسود... رائحة سوداء" فتعود إلى أنها تناولت قضايا متصلة بالطبقة الاجتماعية القائمة على التمييز والإقصاء، والعرق واللون، وخاصة في تناولها لموضوعي "الأخدام" و"المزانية". واهتمت خاصة بصورة الشخصية المهمشة.

2 - حدود الدراسة:

- الحدود المكانية: اليمن.
- الحدود الموضوعية: تعالج الرواية قضايا المهمشين اليمنيين من "أخدام ومزانية".
- الحدود الزمانية: تدور أحداث الحكاية بين الفترة الزمنية الممتدة من (1975 - 1982).
- زمن نشر الرواية: كانت الطبعة الأولى سنة 2008م.

3 - أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في كونها تحاول الكشف عن كيفية تمثيلات الرواية للمهمشين، والنفاذ إلى عمق البنية الاجتماعية والفكرية والثقافية، بل إنها تسعى إلى معرفة الأسباب التي أسهمت في تعزيز الطبقة، والتميز العنصري. وتهدف أيضاً إلى تبين ملامح الشخصية المهمشة ومقاصد الكاتب من الكتابة في هذا النوع من الأدب.

4 - فرضيات الدراسة:

نفترض في هذه الدراسة فرضيات ثلاث، وهي:

- 1 - أن تمرد المهمشين "الأخدام والمزانية" على العادات والتقاليد الاجتماعية كان سبباً في تهميشهم.
- 2 - أن ظاهرة التهميش مردها إلى تحيز لا واعي وتلقائي في بنية النظام الاجتماعية والفكرية.
- 3 - أن التهميش منطلقه التمييز العنصرية القائم على أساس العرق واللون.

5 - إشكالية الدراسة وتساؤلاتها:

تراهن هذه الدراسة على رصد ملامح الشخصية المهمشة في الرواية من خلال التركيز على أبرز الموضوعات الممثلة لها، ومعرفة الأسباب الكامنة وراء تهميشها. وفي هذا السياق تنتزل إشكالية دراستنا، وتتمثل في السؤال المركزي التالي: وهو: كيف تمثّلت رواية "طعم أسود.. رائحة سوداء" الشخصية المهمشة؟

وتطرح الإشكالية تساؤلات عدة منها:

- كيف تجلّت الشخصية المهمشة في الرواية؟
 - وكيف أسهم خطاب العنصرية في هامشية الشخصية وتشظّي هويتها؟
 - ما المقاصد التي أراد الكاتب قولها من خلال تناوله للشخصيات المهمشة؟
- إنّ هذه الأسئلة وغيرها هي محور اهتمامنا في هذه الدراسة.

6 - مقارنة الدراسة:

توسلت الدراسة بالمقارنة الموضوعاتية، لكونها تنظر في الموضوعات المهيمنة في النص، وتحاول الكشف عن المقاصد والدلالات من تجلياتها. ولما كانت الدراسة مهتمة بالموضوعات المهيمنة، فإننا سنرصد أبرزها، ثم سننظر في كيفية تمثيل الرواية لها.

7 - الدراسات السابقة:

قامت الدراسة بتتبع المقالات التي كتبت عن أدب الهامش، سواء أكان ذلك في اليمن أم خارجها؛ لمحاورتها، والاستفادة منها، ولتبين زاوية النظر الجديدة التي لم تكن من شواغل كتاب تلك المقالات.

الدراسة الأولى:

وهي "تجليات المركز والهامش في رواية طعم أسود... رائحة سوداء لعللي المقرري" (أوكسل وقذور، 2020)، إذ اهتمت بثنائية المركز والهامش، وتوسلت بالمقارنة الثقافية. وقد نظرت في عنصرين أساسيين: أما الأول فهو اللغة الهامشية، وأما الثاني، فهو المكان الهامشي. وتوصلت إلى أن خلاص المهمشين من الوضعية التي يعيشونها يكمن في تقديرهم لذواتهم، وفي التخلص من القيود الاجتماعية التي فرضتها الأنساق الثقافية من خلال الهيمنة لطرف دون الآخر.

الدراسة الثانية:

وهي "فضاء المهمش في الرواية اليمنية" (واصل عصام، 2025)، إذ اهتمت بالفضاء بوصفه "فضاء سكنيا" و"فضاء للانتقال"، وانطلقت من سؤال إشكالي مداره على كيفية تشكّل الأمكنة الهامشية. وقد توسلت بمنهج "النقد الثقافي والبنوية التكوينية". وفيها مبحثان: أما الأول فقد تناول "فضاء الإقامة"، وأما الثاني فقد درس "فضاءات الانتقال". وتوصلت إلى أن الفضاء المهمش هو "تجربة معاشة" معقدة وصعبة، وهو الأمر الذي جعل الذات المهمشة تنتقل من فضاء إلى آخر من أجل البقاء ولو كان ذلك على هامش المجتمع.

الدراسة الثالثة:

وهي "لغة المركز والهامش في الرواية اليمنية المعاصرة: دراسة ثقافية" (الحيدري، 2025)، إذ سعت إلى تتبع لغة المركز والهامش، وتبين محمولاتها الثقافية. وتوسلت بمنهج النقد الثقافي. وفيها مبحثان: ناقش الأول، "لغة سرد المركز والهامش"، ونظر الثاني في "لغة الحوار بين المركز والهامش". وتوصلت إلى نتائج لعل من أبرزها: أن لغة المركز مثلت قمعا على الهامش، وجاءت لغة الهامش "مسكونة بالذلّ والخنوع" (الحيدري، 2025، ص: 195).

الدراسة الرابعة:

وهي "ثنائية المركز والهامش في رواية "نادي الصنوبر" للروائية الجزائرية ربعة جلطي" (عبد العالي، 2025). وقد وقفت الدراسة عند ثنائية "المركز والهامش". "وحاولت الكاتبة إسماع صوت المهمشين في المجتمع الجزائري" (عبد العالي، 2025، ص: 61). وتوصلت إلى أن تقسيم المجتمع إلى "مركز وهامش" جاء نتيجة للاستعمار.

الدراسة الخامسة:

وهي "جماليات الهامش في أقاصيص علي الدوعاجي" (العمري، 2025). وقد سعت إلى الوقوف على تجربة الدوعاجي من منظور جمالي، وإلى أي مدى استطاع الكاتب تحويل تجربته إلى نص يعبر عن رؤيته الواقعية والوجودية. وتوصّلت إلى أنّ الهامش عند الدوعاجي لم يكن طبقياً، وإنّما هو موقف فكري وإيديولوجي من الوجود، ورؤية جمالية، فهو "رؤية وموقف يصوغ من خلالهما الفنان وعيه الجمالي" (العمري، 2025، ص: 107).

الدراسة السادسة:

وهي "تمثيل المجتمعات المهمشة في الأدب - دراسة" (Y. Rajasekhar, 2025, p:122). وقد سعت إلى النظر في كيفية تمثيل الأدب للمجتمعات المهمشة، ومن يقوم بذلك، وما أثر ذلك في القراء والثقافة؟ وتوصلت إلى أنّ الأدب يمكن أن يسهم في تعميق نمطية الصورة المهمشة، وأن يكون وسيلة للتعبير والمقاومة وتشكيل الهوية الثقافية.

الدراسة السابعة:

وهي دراسة بعنوان: "متاهة التهميش: نقد لنظرية التمثيل الأدبي للتهميش في الأدب الإنجليزي الهندي" (Kadambari Gasso, 2024, p: 1-8-9). وتري أنّ "الأدب الهامشي" يواجه أسئلة جوهرية في مجال الوجودية وعلم المعرفة، وهو أكثر صلة بالمجتمع الهندي، نتيجة لتعدد الثقافة، والأجناس، والتوجهات، والرؤى. وتري أنّ إنشاء وجهة نظر شاملة قد تكون كفيلة لمعالجة قضايا التجربة الهامشية المتنوعة والاعتراف بها. وتوصلت إلى أنّ هناك صعوبات تواجه الكتاب الذين يكتبون عن الهامشية، لعل من أهمها: نشر الكتابة الهامشية وتعميمها، والتفاعل بين المفكرين والكتاب الذين يتعاملون مع جوانب مختلفة من الهامشية؛ لأنّ التحدي الأكبر يكمن في الوعي بقضايا الهامش.

الدراسة الثامنة:

وهي بعنوان: "الأدب المهمش" (Ravindra Kumar Singh and Usha Sawhney, 2022, p: 14). وقد سعت إلى تبين إسهامات الكتاب الهنود في إثراء هذا النوع الأدبي كمّاً ونوعاً؛ لأنّ الرواية الإنجليزية الهندية منحت صوتاً واعياً للفئات المهمشة. وتوصلت إلى أنّ "التمييز والتهميش" من أخطر المشكلات التي تعاني منها بعض المجتمعات في العالم، ومنطلق ذلك يكون على أساس اللون، والدين، والعرق، والطبقة الاجتماعية. أما في الهند، فيقوم علم المساواة على أساس الطبقة الاجتماعية، والدين والجنس.

8 - التعليق على الدراسات السابقة وموقع الدراسة الحالية منها:

تنوعت الدراسات السابقة في تعاملها مع الهامش، إذ إنّ معظمها اقتصر على النظر في ثنائية المركز والهامش، وخاصة اللغة الهامشية والمكان الهامشي أيضاً. ونظرت أخرى في الفضاء بنوعيه الثابت والمتحول، وبالهامش بوصفه رؤية جمالية وموقف من الوجود. وقد تناولت بعض الدراسات، وخاصة الإنجليزية أدب الهامش من زاوية نظر اجتماعية وعنصرية، إذ رأت أنّ المجتمع يفرق بين ما هو هامشي وغير هامشي من منطلق اللون والجنس والدين. وإذا كانت الدراسات السابقة قد اقتصرت على جوانب من مشاغل أدب الهامش، ومنها اللغة والمكان واللون والعرق والجنس وغير ذلك، فإنّ دراستنا ستنظر في زاوية نظر - بدا لنا أنّها - لم تكن من مشاغل الكتاب في الدراسات السابقة وهي

"الشخصية المهمشة" وكيف تمثلتها الرواية؟ وقد اقتصرَت الدراسة الحالية على رواية "طعم أسود.. رائحة سوداء" لعللي المقرري.

9 - خطة الدراسة:

رأينا أن نقسم هذه الدراسة إلى مقدمة، وخمسة مباحث، وخاتمة، وقائمة المصادر والمراجع، وهي:

- مقدمة

- المبحث الأول: في الإطار المفاهيمي

- المبحث الثاني: الشخصية بين التهميش ومحاولات إثبات الهوية.

- المبحث الثالث : خطاب العنصرية: بين الطبقة الاجتماعية وتمثيلات الشخصية المهمشة.

- المبحث الرابع: الشخصية المهمشة تحكي ذاتها.

- المبحث الخامس " موقف الكاتب من المهمشين: من خطاب الاعتراف إلى الهشاشة والتشظي.

- خاتمة

- المصادر والمراجع

المبحث الأول: في الإطار المفاهيمي

سيناقش هذا المبحث بعض المفاهيم الأساسية المتعلقة بعنوان الدراسة، وأخرى ذات صلة بها؛ للوقوف على دلالات المفاهيم في علاقتها بالشخصية المهمشة، ودلالاتها الاجتماعية، والثقافية، والسياسية.

1 - أدب الهامش:

يشير مفهوم "التهميش" في الأدب إلى "الأفراد أو الجماعات الذين يصورون على أنهم منفصلون عن الطبقات المهيمنة، أو النخبوية؛ بسبب وضعهم الاجتماعي، أو عرقهم، أو جنسهم، أو ميولهم الجنسية، أو موقعهم الجغرافي، أو أي جانب آخر من جوانب هويتهم". (Konstantinos Arampapalis, Antony Augoustakis, 2023, p:1). ويعرف أدب الهامش بأنه "استبعاد أو إسكات أو تجاهل أنواع معينة من الأدب أو المؤلفين داخل المجتمع أو المرجعية الأدبية. ويمكن أن يحدث هذا الاستبعاد لأسباب متنوعة، تشمل العوامل الاجتماعية، أو الثقافية، أو الاقتصادية، أو السياسية. وعلى سبيل المثال، قد تستبعد مجموعات معينة؛ بسبب العرق، أو النوع الاجتماعي، أو الوضع الاجتماعي والاقتصادي. بالإضافة إلى ذلك، قد يتم إغفال أو رفض أنواع أدبية معينة، مثل: الخيال العلمي، أو الروايات الرومانسية، بوصفها أدنى شأنًا من الأنواع الأخرى، مثل: الأدب القصصي الرفيع" (Arjun Namdevrao, Khobragade, 2023, p: 6- 7).

ويهتم "أدب الهامش" بالأشخاص الذين كانوا ولا يزالون على الجانب المقابل للسلطة. فهو يتناول كيف تتأثر حياتهم، وتشكل، وتعرض للاضطراب والانقطاع؛ بسبب حالة التهميش التي لم يختاروها، ولا يمكنهم الهروب منها" (Kadambri Gasso, 2024, p:3). ولأدب الهامشي أهداف كثيرة، ولعل من أبرزها أنه: "لا يكتب لغرض الترفيه، أو التثقيف، أو التنفيس، ولا لجرد الوجود في حد ذاته، إنما لتمثيل حياة أولئك الذين يمثل الوجود بالنسبة إليهم صراعاً وحلماً وتحدياً. وهو يتناول كيفية كفاح الروح البشرية في مواجهة ضغوط وأعباء التاريخ والسياسة والاقتصاد التي تهدف إلى سحقها. فالأدب الهامشي هو أدب الحياة الذي ينكر القمع" (Kadambri Gasso, 2024, p:3). ويقوم بتقديم أصوات المقموعين والمضطهدين اجتماعياً وسياسياً. ولذلك، تشكك "غاياتري تشاكرافورتى سبيفاك Gayatri Chakravorty Spivak's" في مقالها: "هل يستطيع المهمشون الكلام؟" في "فكرة أن الشعوب المهمشة يمكن ببساطة أن تُمنح صوتاً من قبل النخب المثقفة؛ إذ تجادل بأن الظروف الهيكلية لإنتاج المعرفة غالباً ما تسكت أو تشوه صورة المهمشين حتى عندما يبدو أنهم "مُثّلون". ويجذر نقد "سبيفاك" من تمجيد "إعطاء الصوت" دون الاهتمام بالأطر المعرفية التي تصف وتُهمّن على تعبير المهمشين" (Y. Rajasekhar, 2025, p:123).

ويرى حسن بحراوي أن الأدب الهامشي هو "أدب ينتج خارج المؤسسة سواء كانت سياسية، أو اجتماعية، أو ثقافية، أو أكاديمية، وهو بذلك يقع بعيداً عن الرعاية والاحتضان، بل ويجري العمل على نبذه واستبعاده من دائرة الضوء، وقد تسلط عليه الرقابة والمنع إذا ما بدا عليه أنه يتجاوز الخطوط الحمراء المنبه عليها. ولما كانت الأجناس الأدبية هي نفسها صنعة المؤسسة الرسمية، فإنها تعتبر هذا الأدب كائناً منبوذاً ومهمشاً؛ لعدم انضباطه لتوجيهها واختراقه لبنياتها الموجهة من طرف التقليد الأدبي المتعارف عليه" (بحراوي، 2002، ص: 9). ويرى أيضاً أن "كل كتابة تخرج عن النسق المألوف تعتبر كتابة هامشية" (بحراوي، 2002، ص: 3). ولعل ما يميز الأدب الهامشي هو أنه "يخترق المؤلف عن التفكير والتعبير وينتهك الطابوهات الأخلاقية والاجتماعية، ويتجاوز الحدود مع المقدس والمحظور، ويخترق الردهات المحرمة للمسكوت عنه" (بحراوي، 2002، ص- ص: 8-9). ويكشف عن الخلل الطبقي في بنية النظام الاجتماعية والفكرية، وعدم الاعتراف بالآخر؛ نتيجة للتمييز العنصري القائم على العرق واللون والمكانة الاجتماعية. "[إن] العلاقة بين المركز والهامش علاقة مهيم ومهيمن عليه. فالأدب الهامشي مطبوع بتبعيته في مواجهة المركز، وإن كان نسقاً تحتياً أقل تميزاً، فالبعد بين المركز والهامش زمني، يتمظهر تحت أنواع التأخر؛ إذ إن الإبداعات (الشكلية والثرثمية) للمركز لا تصل إلى المناطق الأخرى، إلا بعد مدة تعلم على وضعية هيمنتها. ومفهوم أدب الهامش يشمل في الأقل ثلاثة أنواع متميزة لأوضاع: الآداب المتوقعة جغرافياً على حافة نظام أدبي مهيم (أدب: فرنسي، بلجيكي، سويسري). [و] الآداب المنعوتة عموماً بالفرعية أو الدارجة التي تكون مجاميع صغيرة أو آداباً ملحقة، حيث العلاقة بين المركز والهامش تراتبية بين مهيم ومهيمن عليه، إذ يمكن المقاييس الجغرافية والسوسيولوجية أن تجد تركيبها...". (سعيد علوش، معجم مصطلحات النقد الأدبي المعاصر، ص: 140).

2 - التهميش:

يعني مفهوم "التهميش" من زاوية نظر اقتصادية "الإقصاء الذي يمارس على فئة من الناس في مجتمع ما، وهم يفتقرون إلى أبسط وسائل العيش، ومن ثم يتم استبعادهم من الرعاية الاجتماعية ومن مزجهم في المجتمع، مما يقيد فرصهم وسبل عيشهم بالخروج عن نطاق العمل المربح. [...] [وهو] مهين للغاية، إذ يؤثر سلباً على الازدهار الاقتصادي، وعلى

الكرامة الإنسانية، وعلى الأمن الجسدي. وعادةً ما يتم تمييز الفئات المهمشة من قبل أفراد المجتمع السائد، مما يعرضها للعزلة الدائمة" (Ravindra Kumar Singh, Sawhney, 2022, p: 14). ويشير "التهميش" إلى "التواجد على الهامش، ومن ثم، الحرمان من الفرص والقوة المتاحة في الوسط. [...] [وهو أيضاً] التقليل من شأن شخص ما، ووضعه في موقف غير مهم، أو ضعيف داخل مجتمع أو تجمع عام" (Ravindra Kumar Singh, Sawhney, 2022, p: 14).

ومن التهميش جاء مفهوم "التهميشية" وهي تعني "بالقضايا الاجتماعية والثقافية والإنسانية للأفراد المنتمين إلى فئات اجتماعية مختلفة، مثل الداليت (Dalit)، والعبيد السود [...] [وهي] ليست ظاهرة جديدة، بل هي في الواقع قديمة. قدم البشرية، إلا أن هذا الموضوع لم يحظَ باهتمام كبير إلا في عصرنا، وخاصة مع ظهور أدب ما بعد الهجرة. وتعتمد التهميشية على التداخل بين المركزية والهامشية، حيث يسعى الكتاب الذين يعيشون على الهامش إلى تبني وضع هامشي أو مهمش" (Ravindra Kumar Singh, Sawhney, 2022, p: 15). ويعني التهميش أيضاً "علم المساواة التي يعاني منها فرد أو جماعة في سياق معين، وفي وقت محدد، وذلك في علاقتهم بـ"مركز" يمتلك مجموعة من القيم الإيديولوجية النخبوية الأساسية، وهياكل السلطة، والأعراف الثقافية، والمعايير الاجتماعية" (Konstantinos Arampapaspis, 2023, p:1).

وبعد التهميش "مفهوماً متغيراً بطبيعته، وهو ما يعني أن قلة من الكتاب يحددون الهوامش الجغرافية، أو الإيديولوجية نفسها. ومهما كان وصف هذه الظاهرة، فلا شك أن الكتاب الرومان استخدموا "التهميش" والمفاهيم ذات الصلة بوصفها وسيلة لعرض قضايا اجتماعية وإيديولوجية متنوعة" (Konstantinos Arampapaspis, 2023, p:2). وقد تؤدي "التهميشية" خاصة في الأدب وظائف عديدة، لعل من أهمها: "تحدي السردية السائدة، أو تقويضها، وإبراز الأصوات المهمشة، أو المكبوتة، وتشجيع القارئ على إعادة تقييم هياكل السلطة السائدة والمعايير المجتمعية الكامنة وراء النص تقييماً نقدياً". (Konstantinos Arampapaspis, 2023, pp:2- 3). وتنقسم التهميشية إلى أنواع عدة، منها: "التهميشية العرقية، والجغرافية، والطبوغرافية، والمكانية، والاجتماعية، والإيديولوجية، والثقافية، وحتى الجمالية، ولا تقتصر وظيفتها على أداء هذه الوظائف فحسب، بل يمكن الإشارة إليها أيضاً بمصطلحات نقدية أخرى. ومن أكثر أنواع التهميشية شيوعاً هي التهميشية الجغرافية". (Konstantinos Arampapaspis, 2023, pp: 2- 3).

3 - الشخصية المهمشة:

وهي الشخصية التي لا صوت لها اجتماعياً، فهي شخصية تعيش الاضطهاد والإقصاء في شتى مجالات الحياة المختلفة. ولذلك، اهتم الكتاب بهذا النوع من الأدب، إذ "منح أناند Anand صوتاً للفئات المهمشة التي لا صوت لها في المجتمع، فكتب عن المضطهدين والمقموعين والمستغلين والمهانين الذين يواجهون الإقصاء الاجتماعي، والسياسي، والاقتصادي، والثقافي. [...] وجسد الحياة المأساوية للطبقة المهمشة" (Sanjay N. Shende, M. D, 2016, p: 159). وكذلك "ساهم في النقاشات الدائرة حول التهميش الاجتماعي والقمع، ولفت الانتباه إلى الحاجة الملحة للتغيير الاجتماعي، ورفض الأعراف القمعية بجميع أشكالها [...] ومواجهة الطرق التي تتجذر بها المعايير القمعية في المجتمع، وكيف يمكنها إدامة دوامات العنف والتمييز والتهميش، من خلال تسليط الضوء على إنسانية الأفراد المهمشين [...] ورفض المعايير القمعية وتعزيز التغيير الاجتماعي". (M. Ajay, 2023, p:128) ونبد العنصرية والتمييز العرقي واللوني.

4 - التمييز العنصري:

وهو مفهوم "يتضمن تعبير البيض عن عداء صريح تجاه الأشخاص المنتمين إلى مجموعات عرقية مهمشة. ومع ذلك، يمكن أن يتخذ التمييز أشكالاً عديدة تتجاوز الأفعال الصريحة، مثل: رفض طلب وظيفة، أو استئجار سكن؛ وقد يكون أيضاً خفياً ولا شعورياً، مثل: الإشارات غير اللفظية العدائية في الكلام، أو وضعية الجسم. وعلاوة على ذلك، قد تتضمن الممارسات التمييزية ضد فرد ما تعميمات حول أفراد مجموعة عرقية مهمشة، والتي يفترض أنها تنطبق على تلك المجموعة التمييز على أساس فرد معين (يعرف أيضاً بالتمييز الإحصائي أو التنميط). ويمكن للسياسات المؤسسية - على عكس الأفعال الشخصية - أن تؤدي أيضاً إلى التمييز" (U. Kethrapal, 2021, pp: 3- 4). وللتمييز أربعة أشكال، وهي: "التمييز المتعمد، والتمييز الخفي، والتنميط الإحصائي، وهي تتعلق بالإجراءات التي يتخذها الأفراد والمؤسسات. أما الشكل الرابع فيتضمن الممارسات التمييزية المتأصلة في الثقافة" (U. Kethrapal, 2021, p: 3). ولذلك، "يواجه الأفراد التمييز ليس بسبب أي شيء فعلوه، أو لم يفعلوه، بل بسبب عامل واحد لا يملكون السيطرة عليه وهو لون بشرتهم أو عرقهم" (Hernán Santa Cruz, 1971, p:11). ويشير مصطلح "العرق" إلى "مجموعة أو فئة سكانية تميز ببعض التجمعات، من حيث التكرار والتوزيع، لجزيئات وراثية (جينات) أو سمات جسدية، تظهر وتقلّب، وغالباً ما تختفي بمرور الوقت؛ بسبب العزلة الجغرافية أو الثقافية" (Hernán Santa Cruz, 1971, p:11).

إن تقسيم الجنس البشري إلى "أعراق" هو "تقسيم اعتباطي وتقليدي بحث، ولا ينبغي أن ينطوي على أي تسلسل هرمي على الإطلاق. ولا يوجد في أي من البيانات الصادرة عن لجان اليونسكو أو مؤتمراتها تعريف قاطع لمصطلح "العرق". وأقرب تعريف لهذا المصطلح هو ما ورد في الفقرة 3 من بيان عام 1950، وهو: "يمكن تعريف العرق، من وجهة النظر البيولوجية، بأنه أحد مجموعات السكان التي تشكل نوع الإنسان العاقل. وهذه المجموعات السكانية قادرة على التزاوج فيما بينها، ولكن نظراً للحواجز العازلة التي أبقتهما في الماضي منفصلة إلى حد ما، فإنها تظهر اختلافات جسدية معينة؛ نتيجة لتاريخها البيولوجي المختلف نوعاً ما. وهذه الاختلافات تمثل - إن جاز التعبير - تنوعات على موضوع مشترك" (Hernán Santa Cruz, 1971, pp:12- 13). أما "رونالد سيغال Ronald Segal" فيقول: لقد "أصبحت كلمة "عرق" تعني في الغالب تقسيم البشر حسب اللون، تماماً كما أصبحت كلمة "عنصرية" تعني بشكل متزايد العداء الذي يشعر به شخص تجاه آخر بسبب لونه فقط" (Hernán Santa Cruz, 1971, p:13). ومن ثم، فإن "مشكلة العرق هي في جوهرها سياسية واجتماعية، والبيانات البيولوجية ذات الصلة تستخدم أساساً لتوضيح المشكلة من منظورها السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي" (Hernán Santa Cruz, 1971, p:13).

ويعرّف فعل "التمييز" في استخدامه الشائع بمعنى: "التمييز لصالح أو ضد شخص، أو شيء ما، على أساس المجموعة، أو الطبقة، أو الفئة التي ينتمي إليها، وليس بناء على الجدارة الفعلية. [...] وهو المعاملة التفاضلية للأفراد الذين يعتبرون منتمين إلى فئة اجتماعية معينة، وهو التعبير الصريح عن التحيز؛ والمعاملة الفئوية لعضو في مجموعة ما لمجرد كونه عضواً فيها، وبالتالي، يفترض أنه من نوع معين" (Hernán Santa Cruz, 1971, p:14).

أما مصطلح "التحيز"، فـ "يطلق على التعميمات الفئوية المبينة على بيانات غير كافية ودون مراعاة كافية للفروق الفردية. ويشير في السياق النفسي، إلى نمط من العداء في العلاقات الشخصية موجه ضد مجموعة من الأشخاص أو ضد أفراد من المجموعة؛ وعادة ما يؤدي وظيفة غير عقلانية محددة لحاملها. ومن ثم، يمكن وصفه بأنه حالة ذهنية تفضي إلى

ممارسة التمييز" (Hernán Santa Cruz, 1971, p:14). وهناك مصطلح آخر هو "التحيز الخفي اللاواعي التلقائي" : ويعني "مجموعة من المعتقدات والارتباطات التي غالبا ما تكون لا واعية، والتي تؤثر على مواقف وسلوكيات أفراد المجموعة الداخلية: مثل: البيض [أصحاب البشرة البيضاء] [...] تجاه أفراد المجموعة الخارجية: مثل: السود أو غيرهم من الجماعات العرقية المهمشة. ويواجه أفراد المجموعة الداخلية صراعا داخليا ناجما عن التناقض بين رفض المجتمع للسلوكيات العنصرية واستمرار المواقف العنصرية فيه. وقد تكون نيات الناس حسنة، لكن تصنيفاتهم المعرفية المتحيزة عنصريا. [...] وتتسم أشكال العنصرية الخفية بأنها غير مباشرة، وتلقائية، وغامضة، ومتناقضة" (U. Kethrapal, 2021, p: 5). إن كل ما سبق من مفاهيم قائمة على العرق واللون والتمييز والتحيز والإقصاء هي من ولدت التهميش، ومن ثم، الشخصية المهمشة بفعل الطبقة الاجتماعية والسياسية والثقافية والفكرية، وكل ذلك ولد أدبا هامشيا يعنى بدراسة ما هو هامشي، سواء تعلق ذلك بما هو ثقافي وفكري، أم بما هو إنساني وجمالي.

المبحث الثاني: الشخصية بين التهميش ومحاولة إثبات الهوية.

إن الوعي بالذات في علاقتها بما هو جمعي ووطني هو ما يجعلنا ندرك حقيقة ذاتنا وتصوراتنا للهوية، ولرؤية الآخر وتصو راته. ولذلك، "يتشكل وعي كل فرد من خلال عملية انعكاسية، يلعب فيها إدراكنا لكيفية رؤية الآخرين لنا دورا محوريا [...] ولا تعد صور الذات الفردية وصور "نحن" الجماعية كيانين منفصلين" (S. Mennell, 1994, p: 179). فالهوية هويات "متعددة الأوجه ومتداخلة، وتتراوح بين الشخصية والفردية الحميمة، والجماعية والجامعة على نطاق واسع. وتعد وسيلة لفهم ذاتنا، ولذا، قد تكون نتاج عملية فردية من التأمل والاختيار، وتعبيرا ملهما عن المعتقدات والأذواق والقيم. ومع ذلك، تبنى الهويات اجتماعيا أيضا، وتحددها سياقات اجتماعية وثقافية وسياسية واقتصادية أوسع. وقد يعاد تفسيرها، أو حتى تفرض على جماعات أو أفراد معينين من قبل آخرين غالبا، نتيجة لعدم المساواة في القوة والسلطة، وفي هذه الحالة، قد تكون الهويات مفرقة وقمعية، أو حتى متمردة ومخرجة" (Rebecca Kay, p:2). ولما كانت الهوية تفرض من السلطة الأقوى سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو ثقافية فكرية بهدف الهيمنة والإقصاء والسيطرة على الأقلية الاجتماعية، فإن ذلك يولد هويات قمعية، وهو الأمر الذي يجعل المهمشين يشعرون بعدم انتمائهم إلى الهوية الجامعة، ولذلك يستخدمون هويات فردية وجماعية، "لتحدي الافتراضات المعيارية والقيم المفروضة" (Rebecca Kay, p:2). ومن هنا نتساءل عن الشخصية المهمشة في علاقتها بالهوية، فكيف تتشكل هوية الفرد، وإلى أي حد استطاعت الشخصية المهمشة أن تندرج لها وجودا وهوية؟

يقول "جايسال ساهغال Jaisal Sahgal": "تتشكل هوية الفرد من خلال تفاعلاته مع العالم المحيط به، وتتأثر بالأحداث الاجتماعية والصراعات، وعوامل أخرى تتضمن التفاعلات مع الآخرين. وعلاوة على ذلك، تتأثر الهوية الفردية بالسياقات التاريخية والثقافية والسياسية. ولذلك، فإن من الأهمية بمكان التركيز على كيفية تطور الهوية ضمن المعايير والقيم والمواقف الثقافية المتغيرة في الجماعات المهمشة، إذ يتضمن مفهوم تكوين الهوية [...] دمج المعرفة السابقة، والخبرات الحالية، والأهداف المستقبلية، لتأسيس شعور بالذات. وبالمثل، فإن تطوير الهويات الفردية والجماعية عملية معقدة تتأثر بعوامل نفسية وبيولوجية واجتماعية وثقافية وبيئية، وكلها تشكل معارف الأفراد وخبراتهم وتطلعاتهم [...] [ف] الهوية تعمل بوصفها نوعا محددًا من التمثيل الاجتماعي الذي يؤثر على تفاعل الفرد مع العالم الاجتماعي، مما يسلط الضوء على أهمية الجماعات المهمشة". (Jaisal Sahgal, 2024, pp:2981- 2982).

لقد جسدت رواية "طعم أسود.. رائحة سوداء" صورة الشخصية المهمشة التي تعاني الإقصاء والإلغاء والتشظي في الوجود والهوية، ومرد ذلك إلى الممارسات السياسية من سيطرة المركز، ولكي يكون للمهمشين صوتاً وحضوراً كان لا بد من اعتراف "رباش العبد" بالخيانة حتى يتمكن من الدخول إلى المحكمة، ومن ثم، يقوم بالدفاع عن نفسه وعن رفاهه المهمشين. وقد جاء ذلك على لسانه، وهو يقف أمام المحكمة بجرأة معترفاً بخيائته. يقول: "كلنا خونة، يا حضرة القاضي، الإنسان كائن خائن" (علي المقري، 2011، ص: 5). ويرى أن الإنسان يفقد ذاته وهويته في حال ثبتت خيائته، ولكي يسترجع ذاته من جديد كان لا بد أن يمارس خيانة جديدة. ولذلك، بدا محاجاً الحاضرين الذين اعترضوا على اعترافه صراحة بأن تلك الاعترافات تثبت هويته. ومن ثم، وجوده. يقول: "لا يكفي أن تقول أنا خائن إذن أنا موجود، بل تقول أنا أخون إذن أنا موجود" (علي المقري، 2011، ص: 5). وهذا من أبرز صور المفارقة التي يعاني منها المهمشون ابتداء من اسم الشخصية "رباش العبد" التي لا تخلو من دلالات، وخاصة لفظة "العبد" التي تحيل اجتماعياً إلى طبقة "العبيد"، وهي طبقة هامشية حسب السلم الاجتماعي، وفيها نظرة عنصرية لا تعترف بالآخر المختلف. وما يؤكد ما ذهبنا إليه قول الراوي بعد استماعه إلى مرافعة "رباش العبد": "شعرت وأنا أسمع هذه الكلمات من أحد الأخدام" (علي المقري، 2011، ص: 6). ويقول أيضاً: "سمعت عن مغامراته التي أدخلته السجن" (علي المقري، 2011، ص: 6). لقد أفصح الراوي عن شخصية "رباش العبد" مؤكداً أنه "خادم"، وهو تصنيف طبقي اجتماعي معاد.

ويرى المجتمع أن طبقة الأخدام جريئة، ولا تعترف ببعض الأعراف الاجتماعية؛ نظراً إلى مغامراتها التي يرفضها العرف والعادات. ويبدو لنا أن إقصاء الطبقة المهمشة كان له ردة فعل تجاه المجتمع وقوانينه الاجتماعية، وهذا ما يؤكد مغامرات رباش التي أدخلته إلى السجن. وكذلك اعترافه بالخيانة أمام المحكمة، ولعل ذلك كان نتيجة التمييز الاجتماعي الذي يفرق بين الناس وفق ثنائية (العبد والشريف "الكريم"). وقد صدر هذا التمييز من المحكمة مما عزز التفرقة والعنصرية. يقول القاضي بعد أن وجه كاتب المحكمة بكتابة القضية: "التهمة فيها رباش سعد بن سالم العبد بالخيانة واغتصاب وانتهاك حرمة إحدى الأسر الكريمة، لا تكتب اسم الأسرة" (علي المقري، 2011، ص: 6). إن ما قاله القاضي لا يخلو من موقف تجاه المهمشين، وخاصة "رباش العبد"، فهو خائن ومغتصب ومنتهك حرمة إحدى الأسر الكريمة؛ لأن الإفصاح عن الاسم الرباعي للمتهم، وكذلك التهمة المنسوبة إليه، ووصفه بالعبد، يؤكد النظرة الاجتماعية الدونية تجاه تلك الفئة الاجتماعية. وفي المقابل إضمار (إخفاء) اسم المغتصبة والمتهكة، على حد عبارة القاضي، ووصف أسرتها "بالكريمة" مقابل وصف أسرة المغتصب "بالعبد"، وتأكيد القاضي على الكاتب ألا يكتب اسم أسرتها، كل ذلك لا يمكن أن يكون إلا موقفاً تمييزياً من القاضي تجاه المهمشين، في الوقت الذي كان يمكن أن يكون القضاء هو المنصف هؤلاء المهمشين والتعامل معهم بوصفهم مواطنين متساوين في الحقوق والواجبات.

إن موقف القاضي "المنحاز" إلى الطبقة "الكريمة" ضد المهمشين هو ما جعل "رباش" يعترف بالخيانة ويقدم نفسه بكونه خائناً، لأنه يرى أن ما قام به، إنما هو سعي منه لإثبات ذاته وهويته، وأن الاعتراف بالخيانة وأمام المحكمة هي من تعطيه هوية جديدة، وكأنه أراد أن يعبر عن موقفه من التهميش، وأن يكون في المركز ولو كان ذلك في المحكمة. فقد أراد أن يقول إنه موجود، ولو للحظات؛ لأنه يرى أن قاعة المحكمة لا يمكن أن تظهر أصوات "الأسر الكريمة"؛ لأنها تغيب في تلك الأماكن كما تغيب أصوات المهمشين داخل المجتمع. ولذلك، أراد أن يكون له صوت وهوية وجود. فإذا كانت المحكمة تحاكمه لكونه اقترف ذنباً، وتحاول أن تشهر به؛ لأنه من فئة المهمشين، فإنها في المقابل تحاول أن تخفي صورة المرأة؛ لكونها من أسرة كريمة مختلفة عن أسرته. وفي ذلك، تمايز اجتماعي. وفي ذلك - كما يبدو لنا - يتجلى موقف

الكاتب من نظرة المجتمع إلى المهمشين "الأخدام"، إذ لا تقتصر على فئة بعينها من الناس، بل تمتد إلى القضاء أيضا. ومن ثم، تصبح فكرة الطبقة المهمشة بمثابة أنساق اجتماعية متغلغلة في أعماق المجتمع وطرائق تفكيره. وعليه، يكون التمييز تمييزا اجتماعيا طبقيا.

وفي سياق آخر متصل يدافع رياش العبد عن نفسه من التهم المنسوبة إليه، والتي كان قد اعترف بها من أجل إثبات هويته، وتعبيرا عن ذاته. يقول: "حضرة القاضي، جرموني قبل عشر سنوات بخيانة الوطن، بسبب عضويتي في الحزب، وخيانة الأسرة التي عملت عندها؛ لأنني أحببت ابنتهم. الآن تقولون خيانة فقط، لا تذكرن خيانة من واغتصاب من، وكيف؟" (علي المقرري، 2011، ص: 7). إن هذا الشاهد يؤكد إقصاء كل شخصية مختلفة عما هو سائد، ولكون "رياش العبد" من المهمشين اجتماعيا في نظر الراوي، فإنه لا يحق له أن يكون مشاركا في العمل السياسي أو عضوا فيه، لا لسبب إلا لأنه من طبقة الأخدام التي لا ترقى - في نظره - إلى طبقة السياسيين. ولذلك، تم وصفه بالخيانة؛ لكونه أحب فتاة من أسرة لا ينتمي إليها اجتماعيا. ولذلك، اعترف بأن الخونة لم يتركوا له شيئا يشاركهم فيه، لكونه مقصيا من كل شيء، ولعل ذلك الاعتراف فيه شعور بإثبات الذات وتأكيد الهوية والوجود. يقول: "نحن موجودون؛ لأننا نمارس خيانة الخونة. لم يتركوا لنا مجالا لنشاركهم في الخيانة، خيانة أي شيء، فمارسنا خيانتهم" (علي المقرري، 2011، ص: 8).

ويؤكد خطاب "رياش العبد" بضمير المتكلم الجمعي أنه لا يدافع عن نفسه فحسب، وإنما عن كل من يعيش وضعيته، بل عن كل المهمشين من الطبقات غير المعترف بها اجتماعيا وسياسيا وثقافيا. وبسبب الإقصاء وعدم الاعتراف، تلجأ الطبقة المهمشة إلى التمرد على كل ما هو اجتماعي؛ لإثبات مكانتها وحضورها وأهميتها، ولفت انتباه الآخرين إلى معاناتها. ويتمثل ذلك التمرد فيما أقدم عليه "رياش العبد" أمام المحكمة من تخوين للجميع بما في ذلك القاضي، وقد استغرب الحاضرون من ذلك الموقف، مما جعل المحكمة تقرر ب: "أن المذكور مختل عقليا، وتنتابه حالة جنونية، بين وقت وآخر. وعليه قررنا أنه لم يكن في حالة وعي حين قام بما عمله، وعليه، يتم الاكتفاء بالمدة التي مضاهها في السجن كعقوبة له، على أن تقوم أسرته بمراقبته وعدم السماح له بالقيام بتصرف غير لائق" (علي المقرري، 2011، ص: 9). إن قرار المحكمة بجنون "رياش العبد" هو محاولة منها لإخفاء صوته من جديد، بل إنها أرادت أن تقول إن ما عمله أو قاله كان خارجا عن وعيه حفاظا على سمعة المرأة، وكذا لك القاضي. وما يؤكد ذلك هو وضعه تحت المراقبة؛ لكي يتأكد الجميع من جنونه. ومن ثم، تسقط اتهاماته للجميع بالخيانة؛ لكونه فاقد الوعي بسبب الجنون. ولذلك، قال الراوي بعد سماعه لمرافعة رياش العبد: "لا أظن أنني سأسمع مرة أخرى مرافعة كهذه. [...] صرت أعرف الرفض الكامن في صدور الأخدام لكل من حولهم" (علي المقرري، 2011، ص: 9). ولعل الرفض كان ناتجا عن تمييز اجتماعي لطبقة الأخدام عن بقية طبقات المجتمع، مما جعلها تشعر بغياب دورها بوصفها مكونا اجتماعيا داخل المجتمع. فكان رداه على التقاليد والتهميش بالتمرد بأشكاله المتعددة؛ لكي تلفت النظر إلى معاناتها والاعتراف بها، وتمكينها من الحضور الاجتماعي والسياسي والثقافي دون تمييز، فالوطن هو الجامع.

ولهذا لم يكن اعتراف المهمشين بالخيانة لجرد التمرد على العادات والتقاليد فحسب، وإنما لمحاولة إثبات ذواتهم وهويتهم، ولفت نظر السلطة الرسمية إلى معاناتهم، وما يمارس عليهم من عنصرية وتمييز وتحيز. وهذا ما أكدته دراسة "سلمى أوكل وسكينة قدور" التي ترى أن رواية "طعم أسود.. رائحة سوداء" تعدّ "منبرا للآخر الأسود لسمع صوته المكتوم الذي سلبته إياه ثقافة جائزة معادية للسود، فتمكّن الروائي من سرد الأحداث بوعي الزنجي التابع المغلوب على

أمره، وذلك لإعادة الاعتبار له، ولتغيير موضعه، حتى يثبت شرعية وجوده ويأخذ لذاته موقعا مركزيا داخل المنظومة الاجتماعية" (أوكسل وقدر، 2020، ص: 117). ولذلك، فإن "تمثيل المهمشين في الأدب ليس مجرد مسألة إدماج، بل هو صراع جوهري على سلطة السرد: من يحق له أن يروي قصته، وكيف تروى، في نهاية المطاف، من يمنح كرامة أن ينظر إليه بوصفه إنساناً كاملاً" (Y. Rajasekhar, 2025, p:125). ولهذا، يؤكد الشاهد أن صوت المهمش الراض للتمهيش والإقصاء، والتعبير عنه هو من يمنحه الكرامة والإنسانية.

المبحث الثالث: خطاب العنصرية: بين الطبقة الاجتماعية وتمثيلات الشخصية المهمشة.

1 - تمثيلات الخطاب الروائي لطبقة المهمشين (الأخدام).

صورت الرواية "سرور" بأز ه شخصية مثقفة وشجاعة، ولديه القدرة على الإفصاح بمعتقداته ومغامراته. يقول الراوي: "يملك مقدرة لغوية وفكرية، يستطيع بها التحدث، بل والشجاعة في البوح بمعتقداته" (علي المقري، 2011، ص: 10). وعلى الرغم من ذلك، فإنه لا يسمح له بالدخول إلى المحكمة؛ لكونه من طبقة المهمشين (الأخدام)، إذ يقتصر عملهم على النظافة، وخدمة الطبقة العليا، ومن هنا جاءت تسميتهم بالأخدام. يقول الراوي: "المحكمة لا تسمح عادة للأخدام بدخولها، حتى وإن كان لحضور جلسات تعقد لمحاكمة أهاليهم. يدخلون فقط، حين يقبلون كخدام فيها، يكتسبون القاعات والغرف من الأوراق [...] وينظفون الأوساخ التي تنتثر من الأحذية والأفواه" (علي المقري، 2011، ص: 10). وهذا يجسد نظرة المجتمع التمييزية لطبقة الأخدام، فمهما كانت ثقافتهم التي يحملونها، فإن الحديث عنهم يبقى هامشيا؛ لأن المعيار - في هذا السياق خاصة - ليس ثقافيا، وإنما هو طبقي قائم على اللون والعرق، وهو متجسد في الأنساق الثقافية والفكرية. يقول الراوي: "قررت الهروب مع الدغلو من قرية الوادي، وجئنا لنحوي طرف هذه المدينة، في العشش الصفيحية، والكرتونية، بين الأخدام" (علي المقري، 2011، ص: 6). فالتهميش الاجتماعي للأخدام جعلهم يفرون إلى الأماكن البعيدة عن المدينة، وهي أماكن هامشية؛ لكي يمارسوا فيها حياتهم الخاصة انتقاما من المجتمع، وقد تصل أحيانا إلى المواجهة العنيفة، وفي هذا السياق يصف الراوي "رباش العبد" بأوصاف تعبر عن قوته وعدم استسلامه لهيمنة المؤسسة الرسمية. يقول: "إنه شرس تجاه أي شخص يقوم بمضايقته. حسب صفاته الأكثر انتشارا، عرييد، سكير، متقلب المزاج، بين الانبساط والغضب [...] أخذ بيديه فأسا من حديد كانت معلقة في العشة، [...] وجهها نحوي" (علي المقري، 2011، ص: 11). فهو شخصية مزاجية غير مستقرة، ومتحولة حسب المزاج اليومي، وهذا ما يؤكد تشظي الذات لديه، نتيجة التمييز، وعدم الاعتراف به اجتماعيا. ولعل ما يؤكد ذلك تقلب مزاجه هو الاعتذار الذي تقدم به إلى الراوي بعد أن وقع بينهما شجار حاد. يقول الراوي: "وفي ساعة متأخرة من الليل جاء رباش ومعه أخته ليعتذر" (علي المقري، 2011، ص: 11)، إذ ارتبط مزاجه الانبساطي "بالسكر". يقول: "ظهر مزاج الانبساط غالبا في سكره هذه المرة" (علي المقري، 2011، ص: 11).

وقد أورد الراوي صورا للمهمشين "الأخدام" عند وصوله إلى محوى زين. يقول: "منظر ثلاثة أطفال حفاة كانوا، بسحتتهم السوداء وثيابهم المبقعة والمقطعة، وشعرهم المعجون بالأترية، يلعبون بجوار أول عشة نقصدها، أكد لنا أننا أمام محوى للأخدام" (علي المقري، 2011، ص: 25). وهذا يجسد التهميش بأشكاله المختلفة. وإذا كان الراوي قد نقل صورة المهمشين كما رآها في محوى زين، فإنه أبان عن موقف المهمشين السود من البيض، إذ يطلقون على كل شخص أبيض لقب "أمبو" وهو الشخص الغريب صاحب البشرة البيضاء. يقول الراوي: "اكتشفت بعد أسبوع من المكوث مع

الأخدام أنني مجرد أمبو في نظرهم، لا أكبر ولا أصغر، من ذلك، مهما حاولت أن أقدم نفسي بأنني معهم إلى أبعد حد" (علي المقرري، 2011، ص: 40). ولم يكن هذا التمييز مع الراوي فحسب، وإنما مع الدغلو أيضاً، إذ يرونها تقع بين المنزلتين على حد عبارة الراوي: "بدت لهم في منزلة بين المنزلتين. فهي أقرب إليهم كونها مزينة. لكنها أيضاً تبتعد عنهم درجة؛ لأنّ لون بشرتها يميل نحو البياض" (علي المقرري، 2011، ص: 40). ولعل السبب في عدم ثقة المهمشين بالراوي - في بداية الأمر - مرده إلى ما تعرضوا له من إقصاء واضطهاد وتميز.

وإذا كان الراوي قد بين المهنة التي يعمل فيها المهمشون، وهي التسول، فإن عيشة - وهي إحدى المهمشات - أكدت هي الأخرى أن التمييز هو الذي جعلهم بمتهنون التسول. تقول: "الخدام لا يمكن يشتغل في مقهى أو مطعم. [...] يعتبرونه قدراً نجساً [...] حتى إذا تنظّف" (علي المقرري، 2011، ص: 45). وهذا يجسد صورة الشخصية المهمشة في الخطاب الروائي. وقد أبرزها الخطاب بكونها تخضع للتمييز العرقي وللتصورات الفكرية المتأتمية من الثقافة والمجتمع. ولعل من أهم المشاهد التي تمثلها الخطاب الروائي من واقع المهمشين هو الوضع الصحي الذي يعانيه الأخدام، وعدم الاهتمام بهذا الفئة الاجتماعية التي تعاني التهميش والإقصاء والتمييز، إذ رصد الراوي موت الأطفال بعد تعرضهم لأمرض فتكت بحياتهم. يقول: "ابن شمس مات بعد أن بقي يبول دماً لمدة أسبوعين، وكان في الثامنة من عمره تقريباً. كاذبة بنت المسفوح في العشة المجاورة [...] ماتت بعد سعال دام لأشهر، وقال إنه السل [...] كان الشتاء كعاداته مليماً بأخبار موت الأطفال المفزعة. والصيف جاء أيضاً ومعه البلهارسيا والملاريا" (علي المقرري، 2011، ص: 73).

ولم تحظ الشخصية المهمشة بالاهتمام والرعاية؛ لكونها ناقصة. يقول الراوي: "لم يكونوا في العشش يهربون الموت، حين يعلمون بوفاة رجل أو امرأة بلغا الثلاثين من عمرها، أو أقل من ذلك يبضع سنوات. يعتقدون أنّها كافية لعمر الخدام، وأفضل له من بقائه وهو يتعذب من الأمراض التي تهاجمه طوال عمره" (علي المقرري، 2011، ص: 73).

يقول "جايسال ساهغال": "تؤثر العوامل الاقتصادية، التي غالباً ما تتقاطع مع الجوانب الاجتماعية، على أداء الهوية في الجماعات المهمشة. ويلعب التركيب الطبقي والخلفيات الاقتصادية المتنوعة دوراً محورياً في كيفية أداء الفرد وتحديد هويته. فالبيئة التي ينشأ فيها الأفراد ويعيشون فيها يمكن أن يكون لها تأثير عميق ودائم على هوياتهم الشخصية والاجتماعية. ونتيجة لذلك، يشكّل هذا تصوراتهم ومشاعرهم تجاه بيئتهم الاجتماعية، ويؤثر على جوانب رئيسة من سلوكهم الاجتماعي". (Jaisal Sahgal, 2024, 2985). وتعد عملية التهميش "ظاهرة معقدة وديناميكية تأثرت بشكل كبير بتغيرات اجتماعية واقتصادية وثقافية متنوعة عبر الزمن [...] وهي ليست ثابتة؛ بل هي في تطور مستمر على المستويين الجماعي والفردى لتكوين الهوية. ومن الأهمية بمكان التأكيد أن الجماعات المهمشة وهوياتها هي نتاج بناء اجتماعي، ومن ثم، فهي عرضة لتعديلات مستمرة". (Jaisal Sahgal, 2024, 2986). ولذلك، أسهم الخطاب الروائي في تصوير واقع المهمشين، وإبراز الصور التي بدت عليها الشخصية المهمشة، نتيجة التمييز العنصري والطبقية الاجتماعية.

2 - تمثيلات الخطاب الروائي لطبقة المزاينة.

جاء في رواية "طعم أسود.. رائحة سوداء" أن المزين هو: "الحلاق الذي يقوم مع أسرته بخدمة بيوت القرية في المناسبات العائلية والاجتماعية" (علي المقرري، 2011، ص: 13). ويصور الخطاب الروائي المزاينة بأنهم طبقة اجتماعية ناقصة، ولا يرقى المزين إلى مرتبة "القبيلي" اجتماعياً. وقد اعتمد الراوي في هذا التعريف على حكايات قديمة وردت على

لسان أمه، وهي تشرح له معنى المزينة، وفي ذلك، تميز طبقي كامن في الأنساق الفكرية والاجتماعية ومتأصل فيها، وما يؤكد ذلك هو الحوار الذي دار بين الراوي وأمه عن المزينة. يقول: "الملك شمسان أحب ابنة المزين مرجان فتزوجها. وفي صباح اليوم الثاني تحول إلى دود. لم تحول دود يا أمي؟ لأنه جامعها، وهي ناقصة، ما تساويش مقامه. " وإذا تزوج إنسان عادي ابنة مزين، شتحوّل دود؟" أيوه. يابني المزينين ناقصين على جميع الخلق" [...] الله خلقهن ناقصات" (علي المقرئ، 2011، ص: 13-14). استحضّر الراوي هذا الحوار في أول يوم له مع الدغلو في "حوى" بعد أن فرا هارين وسكنا بين الأخدام، وهي محاولة منه لكشف كيفية اشتغال تفكير المجتمع، وعمق الأنساق الثقافية المشكّلة له، وتفكّكه من الداخل إلى طبقات عديدة وفق معايير عرقية ولونية متوارثة. إن ما قالته الأم لبنها يؤكد مدى خطورة الصورة الذهنية التي ترسمها العائلة في عقول أبنائها. وهو الأمر الذي يعمق من فجوة عدم الاعتراف بالآخر، ويجسد النظرة الدونية له، مما يسهم في خلخلة الاستقرار المجتمعي، ويخلق على المدى البعيد طوائف متناحرة، وناقمة على المجتمع ولا تشعر بالانتماء إليه؛ لأنّه يميّز بين أفرادها، وتنعّم فيه المواطنة المتساوية، ويصبح الشكل واللون والترابعية الاجتماعية والتقاليد هي معيار المفاضلة للوصول إلى المركز.

ونجد أيضاً في الحوار ما يعزز القطيعة بين أفراد المجتمع، وخاصة في عدم زواج الإنسان من المزينة، وهو الأمر الذي يجعلهم يشكّلون طبقة مستقلة داخل المجتمع لها تفكيرها وتقاليدها، وهو ما قد يشكّل خطراً على النسيج الاجتماعي وتمزقه. ولعل إقصاء طبقة "المزينة" من الحقوق، والنظر إليهم بدونية واحتقار ولّد طبقة اجتماعية مهمشة، وعمق شعورهم بالتهميش، وإن عودة الراوي إلى حكايات قديمة؛ لتجسيد تصورات المجتمع عن طبقة "المزينة" يؤكد أن الطبقة لم يكن وجودها أنياً أو ظرفياً، وإنما هو خلل في التركيبة الاجتماعية والفكرية متوارث، وهنا تكمن خطورة الطبقة. ومن أبرز الحكايات التي روتها "جمالة" المزينة، هي أن صبيا وصبية أحبا بعضهما، لكن المجتمع رفض زواجهما لكونها مزينة فهربا إلى بلد لا يعرفهما فيها أحد، وهناك "توالد وتكاثرا واختلط أحفادهما بين الناس والجنان إلا أن الإنسانين والجنين لم يقبلوا بهم كل جماعة اعتبرتهم ناقصين دون مستواها. فأبقوهم عندهم لخدمتهم مزينين ومنظفين للأوساخ" (علي المقرئ، 2011، ص: 16). إن ما أورده الراوي في حكاية "جمالة" له مقاصد، من أبرزها أن الحكاية تستبطن الواقع وتفضّحه، بل وتعريه. وتكشف عن الأنساق المهيمنة المتحكّمة بالمجتمع ومركزته، وكيف تتعامل مع المهمشين وتنظر إليهم بوصفهم خدما ناقصين غير مكتملي الحرية، وما يؤكد ذلك هو جلسات المحاكمة التي أقامها فقهاء القرية على "جمالة"، وصدور الحكم عليها رجماً حتى الموت، بسبب حبها للراوي وحملها منه. وقد برروا ذلك بأنها: "ارتكبت أكبر الكبائر، زنت، وقامت بأكثر من هذا، خرقت العادات والتقاليد التي لا تبيح المعاشرة مع المزينين. [...] مزينة غير مكتملة الحرية [...] دفنت مع الذي في بطنها بعد تهشم رأسها وبقية أعضاء جسمها بالحجارة" (علي المقرئ، 2011، ص: 19). ويؤكد الشاهد أن قتل "جمالة" لم يكن بسبب حملها خارج إطار الزواج الرسمي وحسب، وإنما لارتكبتها جرماً أكبر من ذلك، ويتمثل في خرقها للعادات والتقاليد التي تمنع المعاشرة مع المزينة، لا لسبب، إلا لأنهم ناقصون وغير مكتملي الحرية على حدّ عبارة الراوي. ومن ثم، فقد كان نتيجة ذلك التمييز العنصري المتحيز تهشم رأس الضحية مع جنينها، وهو ما يجسد عنف العادات والتقاليد، وعدم التسامح مع المختلف. ولذلك، فإن الشخصية المهمشة لا تعاني من الإقصاء وحسب، وإنما إلى جانب ذلك تغييب إنسانيتها وكرامتها وحريتها من خلال وصفها بالناقصة.

المبحث الرابع: الشخصية المهمشة تحكي ذاتها.

يسمح الراوي الرئيس لـ "سرور" وهو إحدى شخصيات الرواية بأن يحكي ذاته والذوات المهمشة الأخرى في علاقة بالسلطة السياسية المركزية، والسجن والتشرد والمحاكمات، وكذلك الاغتصاب. يقول: "تتلقى إدارة السجون توجيهات بسجنهم بدون أحكام قانونية، أو قتلهم بدون محاكمة، ويكون هذا بعد أن يتم هدم مساكنهم وتشريدتهم، وجلدهم واغتصابهم. وكذا اختطاف بناتهم وزوجاتهم واغتصابهن" (علي المقرري، 2011، ص: 55). وأما ما يتعلق بالسلطة الدينية فـ يسرد "سرور" حادثة عاشها بنفسه، وهي أنه أقام ذات مرة بالناس إماما في المسجد، وعندما بدأ بالتلاوة أمسكه أحدهم من عضده صارخا: "أعوذ بالله. آخر الزمان يؤم بنا خادم. فانتبه إليه بقية المصلين وراحوا يدفعونه إلى باب المسجد وهو يصيح: أين المساواة" (علي المقرري، 2011، ص: 70). ولذلك، يروي سرور حياة المهمشين في "محوي زين"، فيصف حاله مع الحياة والموت في آن. يقول: "الموت طبيعي في ظل حياة قدرة كهذه: ننام مع أوساخنا بلا حمام تبرز ونبول في الأماكن نفسها التي نأكل فيها، ويلعب فيها الأطفال، ملابسنا لا نغيرها إلا حين تبلى من الأوساخ وتقطع وتسقط عن أجسادنا من ذات نفسها. وإذا لم نجد بديلا منها نبقي عراة، لا شيء يسترنا. حتى إننا لو مشينا شبه عراة في المدينة لا أحد يأبه لنا ويكسوننا. يقولون إن هذا أمر طبيعي بالنسبة إلينا كأخدام" (علي المقرري، 2011، ص: 74). يكشف هذا الشاهد عن واقع مأساوي، ويشرح حياة المهمشين "الأخدام" اليومية في الأكل والشرب، والنوم، والسكن، والملبس، ونظرة الازدراء والنقص إليهم القائلة: بأنهم لا يصلحون لعمل شيء إلا لخدمة الناس، وتنظيف الشوارع، والتسول، ولا غير ذلك. وهذا يشعرهم بالدونية داخل المجتمع، و يفسر حديث "سرور" الذي يقارن بين المهمشين وبقية الفئات الاجتماعية. يقول: "كيف نموت ونحن نشرب الماء الملوث من المستنقع، ونأكل، أكثر ما نأكل من الزبالة. نحترق بأدخنة الفوانيس ومحروقات القمامة. هل سيجيء يوم يكون لدينا فيه بيوت وكهرباء ومواسير مياه تصل إلى بيوتنا، مثلنا مثل الناس الباقين" (علي المقرري، 2011، ص: 74). إن هذا التساؤل يبرز الفروق بين عامة الناس وطبقة الأخدام من وجهة نظر سرور، وهو سؤال جوهري وعميق يشرح الخلل في المجتمع، ويكشف عن العنصرية في تقسيم المجتمع إلى طبقات، طبقة متعالية تسيطر على كل شيء، وأخرى تموت جوعا ومرضا، وشعورا بالدونية، والازدراء، والتهميش.

ويتطرق "سرور" وأخته عيشة إلى موضوع نراه مهما، وخاصة وروده في سياق التهميش، وهي "العنصرية الثقافية" المتأتبة من "اللون الأسود" الذي أصبح هاجسا يثير لديهم الشعور بالاحتقار والدونية. ويتجلى ذلك واضحا أثناء حديث الراوي معهما؛ لإقناعهما بتعليم "عبدة عيشة" الحروف الأبجدية، وقد رفضا ذلك بشدة، ثم بينا سبب ذلك، متسائلين: "هل تريد أن يتعلم في المدرسة، مثل الآخرين أن اللون الأسود في العلم الوطني للدولة يرمز إلى عهد الظلام البائد، قبل إعلان الثورة والجمهورية. وأنه يرمز إلى كل ما هو قبيح، وبشع، ومرعب، وسيء. كيف يمكن ذلك؟" (علي المقرري، 2011، ص: 75). ولعل الرفض في الشاهد مرده إلى الشعور بالتمييز المتأني من الطبقة واللون. وعلى الرغم من أن الثورة وضعت أهدافا، لعل من أبرزها، "إزالة الفوارق بين الطبقات"، وأكدت على المساواة، فإن ذلك لم يتحقق كما أشار إلى ذلك الشاهد. ولذلك، فإن التساؤل لا يخلو من إنكار واستغراب. ومن هنا كان الرفض يحمل موقفا من نظرة المجتمع العنصرية للجنس الأسود وللبشرة السوداء. ولأهمية ذلك جاء عنوان الرواية حاملا للطعم الأسود والرائحة السوداء، وتجسيدا لشعور المهمشين بالإقصاء والعنصرية بأشكالها المختلفة، وهذا ما برر للشخصية المهمشة بأن تحكي ذاتها وتبرز معاناتها في مجتمع طبقي تغيب فيه إنسانية الإنسان. ولعل "هجرة" هي من أبرز الشخصيات المهمشة التي دعت إلى احترام

ذوات المهمشين "الأخدام"، وعاداتهم وتقاليدهم، والقبول بهم، وثقافتهم ولونهم وروائحهم، ومن ثم، الاعتراف بهم ودمجهم في المجتمع، والابتعاد عن لغة التحقير اجتماعياً وشعبياً، وهذه هي مطالبهم على حد عبارتها. تقول: "نشيتي من يحترمننا كما نحن. يحترم ثقافتنا. يحترم لوننا، طعمنا الأسود، رائحتنا السوداء" (علي المقرئ، 2011، ص: 88). وقد أكد "سرور" أنه تحاور مع مجموعة من الشباب، أصحاب البشرة البيضاء (ويطلق عليهم أمبو)، وهم يرددون أمثالاً شعبية تحمل دلالات عنصرية وتحقيرية لطبقة المهمشين "الأخدام"، وهو ما يعكس رفضاً شعبياً للاعتراف بهم. يقولون: "من صاحب الخادم أصبح نادماً" "والخادم أنجس من اليهودي" "واغسل بعد الكلب واكسر بعد الخادم" (علي المقرئ، 2011، ص: 88). ويقولون:

"لا يغرك"

حسن الأخدام

النجاسة بالعظام" (علي المقرئ، 2011، ص: 89).

إنّ هذه الأمثال الشعبية (المحلية) تكشف عن عمق الفجوة بين الطبقات الاجتماعية المتجسدة بما هو ثقافي فكري، والمتجاوزة لما هو شكلي. ولذلك، يصبح الاعتراف أمراً عسيراً؛ لأنه يحتاج إلى وعي بحقوق الآخر وحرية واحترام خصوصيته.

المبحث الخامس: موقف الكاتب من المهمشين (من خطاب الاعتراف إلى الهشاشة والنشيطي).

تجسدت مواقف الكاتب (الراوي) من طبقة المهمشين من خلال كتابته عنهم، وتضامنه مع قضيتهم. ولم يقتصر موقفه على الكتابة وحسب، وإنما تجاوز إلى أبعد من ذلك، وهو زواجه من الدغلو وهي (مزينة) وهروبه معها إلى محوى زين للإقامة بين المهمشين "الأخدام". وقد أعلن موقفه صراحة بأنه أصبح فرداً منهم ومصيرهم واحد. يقول: "فلن نمضي خارج سرب الأخدام الذي ارتضينا أن نكون جزءاً منه" (علي المقرئ، 2011، ص: 111). ويتضح موقفه أيضاً من خلال الحديث عن بعض الشخصيات التي لا تنتمي إلى طبقة الأخدام لكنها تزوجت منها، وهذا يؤكد كسر الحواجز الاجتماعية والتعايش مع المختلف شكلاً ولوناً وتوجهاً. ولعل من أبرز تلك الشخصيات الدكتور الحكيمي الذي كان زواجه من جمعة انتصاراً لقضيتهم، واعترافاً بهم. فقد وحدهم الحب الذي يعدّ من أقوى الروابط الإنسانية، إذ كسر كل الحدود والحواجز التي أوجدتها المجتمع. يقول الراوي عن الدكتور الحكيمي: "ظل يجيء إلى المحوى ليفحصهم ويقدم العلاج لهم مجاناً. [...] كانت جمعة فتاة المحوى هي السبب. لقد أحبها، ومن أجلها كما يقولون يعمل أي شيء للأخدام" (علي المقرئ، 2011، ص: 111-112). وقد ظلت جمعة تتحدث عن الحكيمي وتعامله الإنساني معها، ولم يشعرها بالفوارق الاجتماعية بينهما، بل إنه يرى أن الحب هو أسمى عاطفة في الوجود، وهي الجامع قبل الوطن والتقاليد. وقد تحدثت جمعة عن الحكيمي: "وعن سلوكه تجاهها، عن احترامه لها وعدم إشعارها بأنها خادمة ناقصة، كما يفعل الآخرون" (علي المقرئ، 2011، ص: 112).

وقد رأى "الأخدام" أن زواج الحكيمي من جمعة يعدّ بمثابة ردّ اعتبار لهم. يقول الراوي مجسداً ذلك الشعور: "شعر الأخدام بالزهو، ببعض من رد الاعتبار" (علي المقرئ، 2011، ص: 112). ويورد الراوي خبراً آخر، يقول فيه: "سمعت عن مهندس زراعي تزوج قبل أن نجى إحدى الخادمت، وإنه أراد العيش معها في المحوى" (علي المقرئ، 2011، ص: 112).

(2011، ص: 114). و يقول الراوي: "حفلة عرس جمعة والدكتور ذكرتي، أيضا، بعدد الله ابن صاحب المطعم؛ حدثني أكثر من مرة أنه يتمنى الزواج من خادمة لو أستطيع ذلك.. أكرس التقاليد المقيتة" (علي المقرئ، 2011، ص: 114). ويبرز موقف الكاتب من المهمشين صراحة من خلال تعاطفه معهم وتساؤلاته عن مصيرهم، وخاصة بعد زحف المدينة الإسماعيلية نحو عششهم. يقول: "هل سيعوضوهم بأبنية أخرى صالحة للسكن تمهيدا لدمجهم في المجتمع" (علي المقرئ، 2011، ص: 118).

ولم يكتف الكاتب بسؤال الدمج وحسب، وإنما يطرح سؤالاً وجودياً عن مصيره مع الدغلو، وهل وجوده بين الأخدام كان رغبة إلى الرائحة السوداء، أم كان قراراً؟ يقول: "ماذا علي أن أفعل، أنا الذي وجدته ذات يوم منجذباً إلى الطعم الأسود والرائحة السوداء؟ ماذا علي الدغلو أن تكون؟ [...] كيف يمكنني معها، بعد كل هذه السنوات، أن نتقبل زحف الجرافات، ونستسلم لها، وهي تلغي من الأرض شيئاً اسمه محوى زين؟ هل يمكن أن نصبح هكذا. لا شيء. أتساؤل من نحن؟" (علي المقرئ، 2011، ص: 119). إنها أسئلة وجودية تبحث عن الهوية وعن الذات الضائعة والتائهة والمتشظية. وتبحث أيضاً عن الذات الجامعة (الوطن) الذي تذوب فيه كل الانتماءات والطبقات والولاءات، فهو الهوية والمآل. ويسعى الكاتب مما سبق من أقوال ومواقف إلى دمج الأخدام ومزجهم في الهوية الوطنية الواحدة والجامعة، ونبد الطبقة والعنصرية. يقول في حديث - على لسان سرور - يجسد به ذلك التوحد، ويبرز موقفه: "يتحدث سرور، يسأل ولا يجيب، كأنه أنا وكأنني هو، كأنه آخر تخلى عن سرور، أو سرور تخلى عن آخر، كأنه غيره، أو لا شيء" (علي المقرئ، 2011، ص: 119).

وقد تجلّى موقف الكاتب من طبقة الأخدام من خلال اعترافه بأنه جزء منهم، ورفضه للطبقة والعنصرية، فخو يرى أن الآخر هو الأنا وهو الذات "كأنه أنا، وكأنني هو". لكن الواقع خيب آمال الكاتب، وهو الأمر الذي جعله يتساءل عن ذاته، ويجب بأنها تشبه الضياع والغياب، ولا شيء، والعدم، ولا قيمة له مثله كمثل طبقة المهمشين "الأخدام". يقول: "أنا قرطاس في الأرض، حفنة غبار، كومة قش، أنا هو أنا. أنا لا شيء، أنا حذاء معلق، حذاء مقطّع مرمي في زبالة، أنا زبالة، البقايا إخوتي، العلب الفارغة ييوتي. لا، أنا بيتها. أنا علبة مدعوسة في طريق" (علي المقرئ، 2011، ص: 119). وهذا يؤكد الهامشية في تجلياتها ودلا لاقتها. فالألفاظ هامشية، وكذلك الدلالة. وهو يعمق الضياع والعدم وتشظي الذات، ومحاولة البحث عنها. فإذا كان من مقاصد الكاتب السعي إلى الاعتراف بالطبقة الهامشية، والتضامن معها، فإنه قد أبان في خاتمة الرواية أنه أصبح لا شيء، بل هو ذات من ورق، من غبار، من قش، وهو ما يؤكد هشاشة الذات أمام صلف الواقع وقسوته، وتجذّر نفوذ السلطة المركزية. أما حديث الكاتب عن ذاته بأنها ذات من زبالة أو حذاء ففيه احتقار للذات الإنسانية التي تبحث عن هويتها وحريتها دون جدوى، مما يكشف عمق الخذلان والتعاسة في مجتمع لا يعترف بحق الحياة والمساواة واحترام إنسانية الإنسان.

الخاتمة:

توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج، ولعل من أهمها:

- أن تمرد طبقة المهمشين "الأخدام والمزانية" على العادات والتقاليد - كما يرى ذلك المجتمع - لم يكن سبباً في تمهينهم، وإنما التهميش كان سبب تمردهم. وقد تجلّى ذلك في شخصية "رباش العبد" خاصة، إذ كان اعترافه بالخيانة أمام

المحكمة محاولة منه لإيصال صوت المهمشين، وتعبيراً عن حقوقهم، وكسراً للقيود الاجتماعية، وإثباتاً للذات والهوية الملغاة اجتماعياً، وليس للتمرد نفسه. وهذه النتيجة تدحض الفرضية الأولى.

- أن التهميش في رواية "طعم أسود... رائحة سوداء" لم يكن هدفاً سياسياً مؤقتاً أو آتياً، أو محاولة من السلطة المركزية لإخضاع المهمشين؛ لسبب سياسي ما، وإنما كان تحيزاً متجذراً في البنية الثقافية والفكرية والاجتماعية للمجتمع، وهو ما تكررته الأمثال الشعبية الواردة في الرواية عن طبقة "الأخدام"، وكذلك الحكايات القديمة التي حكاها الراوي عن أمه فيما يخص المزاينة، وأهم طبقة ناقصة. وهذا يؤكد أن التهميش يتجاوز ما هو سياسي آتياً إلى ما هو ثقافي وفكري متوارث. وهذه النتيجة تدعم فرضيتنا الثانية وتؤكددها.

- أن تهميش الشخصية مرده إلى التمييز العنصري القائم على العرق واللون، وقد تجلّى ذلك واضحاً فيما أورده الراوي عن "رباش العبد" وهو مائل أمام المحكمة، إذ ظهرت أصوات تقول: إن هذا المكان ليس للأخدام، وإنما مكاهم خدمة الناس وتنظيف الأرض، وما يخرج من أفواه الناس، والتسول. ولا يسمح للخادم العمل في المطاعم - كما أشارت إلى ذلك "عيشة" - لكونه خادماً نجساً، وهو ما جسده بعض الأمثال الواردة في الرواية: "اغسل بعد الكلب واكسر بعد الخادم" و"النجاسة بالعظام". وكذلك التمييز العنصري الذي تعرض له "سرور" أثناء إمامته الصلاة بالناس في المسجد، وما تعرضت له "جمالة" بوصفها مزيّنة ناقصة غير مكتملة الحرية. كل ذلك يؤكد أن التهميش منطلقه التمييز العنصري الطبقي. وهذه النتيجة تدعم فرضيتنا الثالثة وتؤكددها.

- أن الكاتب أعلن تضامنه مع المهمشين، وقد عبر عن ذلك من خلال الكتابة عن معاناتهم، وزواجه من "جمالة"، واتخاذ "محوى زين" بين المهمشين مسكناً له، وتبنيه حكايات لشخصيات كسروا حواجز العادات والأعراف وتزوجوا من "طبقة الأخدام"، وأخرى أفصح أصحابها عن رغبتهم في الزواج من "محوى زين" وهذا يؤكد أن الحب هو أسمى العلاقات الإنسانية ومن أقوى روابطها. وهذه النتيجة تؤكد موقف الكاتب المتضامن مع حقوق المهمشين والأقليات؛ لأن إنسانية الإنسان مقدمة على العادات والتقاليد.

- أن الذات الكاتبة، على الرغم من تضامنها مع قضية المهمشين، والاعتراف بهم، والدعوة إلى دمجهم اجتماعياً، فإنها ظهرت في نهاية الرواية ذاتاً هامشية متشظية هشة، ذاتاً من ورق، لا تعرف من هي، بل إنها تطرح سؤال الهوية والوجود من جديد، من أنا؟ وهذا يؤكد تجذّر سلطة الإقصاء والتهميش وعمقها الاجتماعي، مما يجعل أي محاولة للاعتراف بالطبقة الهامشية تحظى بالفشل.

- أن الرواية أظهرت الشخصية المهمشة في وضعيتين: أما الأولى فهي شجاعة وثقافة ورافضة للتهميش والإقصاء، ومطالبة بحقوقها في العمل السياسي والاجتماعي، وبحقوقها في الوطن والمساواة والعدالة. وأما الوضعية الثانية فهي شخصية هامشية متشظية ناقصة، متسولة، مهزومة ومتأزمة، بلا هوية، ضائعة، إنها شخصية ورقية.

توصي الدراسة بالآتي:

- قراءة أدب الهامش في اليمن قراءة نقدية بموضوعية وحيادية، للوقوف على الخلل الثقافي والفكري المتوارث والمتسرب في الخطاب اليومي والروائي بقصد أو دون قصد، ومحاولة معالجته من خلال التوعية الثقافية بمخاطره على

المجتمع، وتعميق الفجوة، وعدم الشعور بالانتماء إلى الوطن، نتيجة الإقصاء والتهميش واحتقار الآخر والخط من مكانته الاجتماعية والإنسانية.

- احترام الآخر المختلف ثقافيا واجتماعيا وإيديولوجيا وفكريا، والوعي بأنّ الأنا إنّما هي الآخر، وأنّ الوطن هو الجامع دون تمييز، أو عنصرية، أو تحيز، طبقي، أو طائفي، أو مذهبي، أو فكري.

المصادر والمراجع:

- أوكلسل، سلمى، وقدر، سكينه. (2020). تجليات المركز والهامش في رواية *طعم أسود... رائحة سوداء* لعلي المقرري. مجلة إشكالات في اللغة والأدب، ع (2)، مج (9)، (117-132).
- بحراوي، حسن. (2002). أدب محمد شكري من الهامشية إلى المركزية. مجلة علامات، ع (18).
- الحيدري، عبد الفتاح أحمد عبده. (2025، مارس). لغة المركز والهامش في الرواية اليمنية المعاصرة: دراسة ثقافية. مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية، ع (118)، مج (12)، (195-229).
- عبد العالي، حنان. (2025). ثنائية المركز والهامش في رواية نادي الصنوبر للروائية الجزائرية ربيعة جلطي. مجلة تمثلات، ع (2)، مج (9)، (61-78).
- علوش، سعيد. (2019). معجم مصطلحات النقد الأدبي المعاصر (عربي - فرنسي). مراجعة: كيان أحمد حازم يحيى وحسن الطالب. دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1.
- العمري، علي. (2025، خريف). جماليات الهامش في أقاصيص علي الدوعاجي: بحث في الشخصية الهامشية في السرد. بينيات: مجلة السرديات والدراسات البينية، ع (5)، (81-110).
- المقرري، علي. (2011). *طعم أسود... رائحة سوداء* (ط. 2). دار الساقى.
- واصل، عصام. (2025، يوليو). فضاء المهملش في الرواية اليمنية. مجلة جامعة المهرة للعلوم الإنسانية، ع (18)، (237-258).

Romanization of references:

- Abd al-Ali, Hanan. (2025). *Thunaiyat al-markaz wa Al-Hamish fi Riwayat Nadi Al-Sanawbar lil-riwaiyah al-Jazairiyah Rabbiah Jaliti. Majella Tamaththulat*, 9(2), 61-78.
- Ajay, M. (2023). Subverting oppressive norms: The characterisation of Velutha and the fight against social marginalisation in Arundhati Roy's *The God of Small Things*. *International Journal of English and Studies (IJOES)*, 5(1), 124-128. (In Arabic).

- Al- Umari, Ali. (2025, Fall). *Jamaliyat Al-Hamish fi aqasis Ali Al-Duaji: Bahth fi Al-shakhsiyah al-hamishiyah fi al-sard. Bayniyyat: Majella al-Sardiyyat wa al-Dirasat al-Bayniyyah*, (5), 81–110.
- Al-Haydari, Abd al-Fattah Ahmad Abduh. (2025, March). *Lughat Al-markaz wa al-Hamish fi al-Riwayat al-Yamaniyyah Al-muasirah: Dirasah thaqafiyah. Majella Al-Andalus lil-Ulum al-Insaniyyah wa Al-Ijtima'iyyah*, 12(118), 195–229.
- Al-Maqri, Ali. (2011). *Tamaswad... raiḥah sawda* (2nd ed.). Dar Al-Saqi.
- Arapapaspaslis, K., Augoustakis, A., Froedge, S., & Schroer, C. (2023). *Dynamics of marginality: Liminal characters and marginal groups in Neronian and Flavian literature*. De Gruyter. (In Arabic).
- Awksal, Salma, & Qaddur, Sukaynah. (2020). *Tajalliyat al-markaz wa al-hamish fi Riwayat Tamaswad... raiḥah sawda li-Ali al-Maqri. Majella Ishkalat fi al-Lughah wa al-Adab*, 9(2), 117–132.
- Bahrawi, Hasan. (2002). *Adab Muhammad Shukri min al-hamishiyah ila al-MarkaZiyah. Majella Alamat*, (18).
- Gasso, K. (2024). The labyrinth of marginality: A critique of theorising literary representation of marginality in Indian English literature. *Brazilian Journal of Development*, 10(7), 1–11. https://www.academia.edu/100450181/Marginalization_of_Literature (In Arabic).
- Kay, R. (n.d.). *Identity and marginality*. University of Glasgow. https://www.gla.ac.uk/media/Media_41175_smxx.pdf (In Arabic).
- Kethrapal, U. (2021). *Marginal literature*. Directorate of Distance and Continuing Education, Manonmaniam Sundaranar University. (In Arabic).
- Khobragade, A. N. (2023 ,March). *Marginalized literature and its contribution in redefining history. LangLit: An International Peer-Reviewed Open Access Journal*. National Virtual Conference on Marginalized Literature and Its Contribution in Redefining History, Department of English, Smt. Gopikabai Bhure Mahila Mahavidyalaya, Tumsar. (In Arabic).
- Mennell, S. (1994). The formation of we-images: A process theory. In C. Calhoun (Ed.), *Social theory and the politics of identity*. Blackwell. (In Arabic).

- Rajasekhar, Y. (2025 ,October). Representation of marginalized communities in literature: A study. *Journal of Emerging Technologies and Innovative Research (JETIR)*, 12(10), 122–126. (In Arabic).
- Sahgal, J. (2024 ,August). Navigating identity: An examination of identity formation among marginalized communities. *International Journal of Social Science and Economic Research*, 9(8), 2981–2989. (In Arabic).
- Shende, S. N., & Deshmukh, M. D. (2016). Portrayal of the marginalized class in Mulk Raj Anand's novel *Coolie*. *Research Journal of English Language and Literature (RJELAL)*, 4(3), 159–167. (In Arabic).
- Singh, R. K., & Sawhney, U. (2022 ,July). Marginalized literature. *Integrated Journal for Research in Arts and Humanities*, 2(4), 14–21. (In Arabic).
- Wasil, Isam. (2025, July). *Fada al-muhammash fi al-Riwayat al-Yamaniyah. Majella Jamiat al-Mahrah lil-ulum al-Insaniyah*, (18), 237–258.